الارث

(رواية هنري الدر)

في ليلة من ليالي الشتاء بينما المطر ينهمل بغزارة والرعد يقصف بشدة والبرق يخطف الأبصار بلمعانه كان قصر اللورد كاوجستون في ضواحي لندن ينبعث من احدى غرفه نور ضئيل ، وكأن الطبيعة بهيجانها تنذر بما سيحدث من الأهوال المفجعة في هذا القصر الجميل القديم العهد وما سيحل بأهله من النكبات ، وكان اللورد يحتضر على فراش الموت قدعا اليه شقيقه جون وكان هو وارث أسرة براوجنجهام لأنه البكر والقانون الانكليزي يقضي بذلك حفظاً للثروة وصوناً لاسم العائلة ومجدها التالد وأما شقيقه جون فكان من متوسطي الحال وقد درس الميكانيك فمده اللورد بالمال حتى غدا صاحب مصنع يصنع الموازين والآلات الرافعة وغيرها الا انه كان خامل الذكر حسوداً جسوراً ميالاً بفطرته للشر مع ان أخاه اللورد كان يعامله بالعطف والحسنى ويجزل له العطاء ولكن متى كانت النفس مطبوعة على الحسد والشر فلا تصلحها الشفقة والحنان فكم كانت تصوّر له طباعه السيئة :انه يكسب قوته بالتعب والنصب بينما أخوه اللورد ينعم بمال والدهما وهما صنوان ورضيعا لبان ، وكم كان يسخط على القوانين والأنظمة . غير أن أخاه كان عديم النسل الأمر الذي كان يسبب له آلاماً نفسية ولكنه استسلم لحكم القضاء .

وبينما كان اللورد جالساً يوماً في غرفة التدخين اذ دخلت عليه زوجته مبتسمة وقالت اني أزف لك بشرى سارة يا عزيزي ! وهي اني حامل فطاب اللورد نفساً لهذه البشرى لأنه كان متعطشاً لأن يرى له نسلاً يخلد ذكره وقد سئم عيشة الوحدة وزوجته التي كان يحبها حباً جماً غير انه لم يتم سروره حيث ان الله عز وجل رزقه مولودة كانت شؤماً على والدتها التي ماتت بعد وضعها . فحزن زوجها عليها حزناً مبرحاً كان سبب مرضه الذي قاده الى حتفه بعد وفاتها بسنة وبينما كان على فراش

الموت كما قدمنا دعا شقيقه في تلك الليلة الممطرة وأجلسه قرب سريره وأوصاه بطفلته بيانريس خيراً فكن وصياً لها حتى تبلغ سن الرشد ، بل كن لها أباً حنوناً وارعها بعنايتك حتى أموت قرير العين وقد سجلت وصيتي وجعلتها من نسختين فهذه هي الثانية وأما الأولى فهي عند مسجل العقود المستر رابتس بعد ان وضعت كل ثروتي في بنك لندن لأجل معين وقد تركت لك الحرية بالتصرف بريع أملاكي البالغ ستة آلاف جنيه سنوياً كما هو مذكور في الوصية . فأجابه جون : ما هذا الكلام يا شقيقي العزيز . انك ستشفى عن قريب وتعود اليك الصحة فلا تيأس من رحمة الله . ثم اتجه شطر الباب وفتحه ليخرج فرأى خلفه الشيخ جودفري مربي اللورد ومربيه وهو منحني الرأس وواضع يديه على صدره وهو يبكي . فقال له جون ماذا تصنع هنا أيها الشيخ ان المرض اشتد على اللورد وهو في حاجة الى الراحة والسكينة فلا تزعجه . فأجابه الشيخ : شفاه الله يا ولدي واني دائماً ابداً ملازم باب غرفته حتى لا أتوانى لحظة عن القيام بخدمته . فقال له بازدراء ولؤم : اذن فابق كما يتراءى لك . وكان هذا الشيخ يحب اللورد حباً شديداً وهو لا يتركه لحظة وقد سمع كل مادار بين الشقيقين . وفي الصباح أعلنوا نبأ وفاة اللورد فحزن الكل عليه سوى شقيقه الذي كان يتمنى هذا الموت من أمد بعيد وقد وسوس له الشيطان ودفعته نفسه الخبيثة الى ارتكاب امور فظيعة : فطرد أولا جميع الخدم واستبدلهم بغيرهم ومن جملتهم الشيخ جودفري ثم أضمر الشر لابنة أخيه فاستشار خليلته التي حكمها في قصر اللورد فأشارت عليه بقتلها حتى يأمن منها في المستقبل وفي اليوم التالي نفذ ما قرراه فأخذ الطفلة الى ضواحي المدينة ووضعها على الخط الحديدي وعاد مسرعاً . ولحسن الحظ مر المستر جوردي صاحب مصنع أسلحة من تلك الجهة فرأى الطفلة وحملها وما كاد يرفعها عن الخط وابتعد قليلا حتى سمع دوياً شديداً ومر القطار السريع في طريقه الى لندن فحمد الله الذي سخره لانقاذ الطفلة من تلك الميتة الشنيعة فعاد بها الى منزله وأخبر زوجته بأمرها وفرح بها ابنه فرنك الصغير البالغ من العمر ست سنوات

فنمت الطفلة ونشأت بين أفراد هذه العائلة الكريمة وقد بقي لها اسمها حيث كان في عنقها سلسلة في طرفها ايقونة منقوش عليها اسمها بحروف بارزة «بياتريس براوجنجهام».

ثمانية عشرة سنة مرت على هذه الحوادث أصبحت بياتريس بعدها فتاة حسناء وقد ألفت فرنك وألفها فأحبا بعضهما حباً امتزج بروحيهما ولا سيما ان فرنك أصبح أيضاً شاباً جميلا بهي الطلعة . وكم من مرة اجتمعا في حديقة المنزل وتناجيا وتبادلا آيات الحب الطاهر وقد زاد قدر فرنك في عيني حبيبته عند ما حل محل والده في ادارة المصنع لأنه تنازل له عنه لكبر سنه . وفي ذات يوم خرجت بياتريس وحبيبها فرنك للنزهة على ظهري جوادين

وتوغلا في الحقول لصيد الحجل فقالت له : اني أريد أن أستريح ياحبيبي تحت ظل هذه الشجرة المجاورة لذلك المنزل الصغير فاني أشعر بالظمأ وقد فرغت جعبتي من الشراب فوافقها ونزلا قرب المنزل واذا بشيخ أحنت ظهره الأيام يعلف البقر والخيل فخانت منه التفاتة اليهما فسلما عليه فرد لهما التحية بأحسن منها فتقدما اليه وطلب منه فرنك جرعة من الشراب فانحنى أمامهما وهرول الى المنزل ثم عاد يحمل قدحين من الجمة (البيرا) فشربا هما شاكرين . وكان الشيخ يتفرس في بياتريس وقد لمح الايقونة المعلقة على صدرها فجثم في مكانه مبهوتاً ثم قال : تفضلا ياسيدي ولم يستطع ضبط نفسه فأجهش بالبكاء فدهش فرنك وبياتريس من حالته وسألاه عن سبب بكائه فلم يجب وارادا الانصراف بعد ان اعتذرا له وشكراه فزاد الشيخ بالبكاء ورفع يديه الى السماء وهو يتمتم بالفاظ متقطعة لم يفهما منها سوى قوله : « مولاي اللورد كاوجستون » وكانت بياتريس تعلم ان هذا اسم والدها وكان ربيبها قد أخبرها كيف انه وجدها ومن الايقونة عرف لأية أسرة تنتسب وكان يعرف ان من افراد هذه الأسرة اللورد كاوجستون والمستر جون وقد أيقن أن في الأمر سراً يخشى على الفتاة منه ولذا كتم أمرها ورباها وهو لا يدري من من الاثنين هو أبوها . وكانت الفتاة عالمة بكل ذلك فدفعها حب الاستطلاع لتحقيق

اسم والدها لذلك دنت من الشيخ بلطف وهي تسمعه أعذب الألفاظ المخففة لما به وما كان فرنك بأقل شوق منها لاكتشاف ما يكنّه قلب هذا الشيخ فدنا منه ايضا يواسيه بأرق العبارات ثم دعاه للجلوس على مقعد خشبي وقاداه وهو يشهق ويرتجف متأوها مرددا اسم اللورد مقرونا بآيات المحبة الصادرة من صميم الفؤاد .

فجلس الشيخ بينهما وهو ينظر الى بياتريس ثم قال : اسمحي لي يا ابنتي بأن أدعوك (مس بياتريس) فأجابته : ان هذ هو اسمي الحقيقي .. أو لعلك من الذين يعلمون الغيب ؟ فأجابها الشيخ : كلا يا ابنتي ! اني لست من الذين يعلمون الغيب . بل أنا ذلك الشيخ الفاني جودفري — مربي سيدي اللورد كاوجستون والمستر جون شقيقه وهما ابنا المرحوم اللورد هيرولدبر براوجنجهام واني منذ وقع نظري على محياك الذي يشابه كل الشبه وجه المرحومة والدتك والذي أكد لي ذلك اسم اسرتك المنقوش على ايقونتك فاسمحي لي أن اقبل يدك ثم جثا أمامها وأخذ يقبل يدها ويبكي من شدة الفرح ولما سكن روعه قص عليهما قصة جون وخليلته فتأثرت بياتريس وطلبت اليه أن يصحبهما الى المنزل ويعيش معهما و بعد الحاح لبى الطلب وسار معهما ولما بلغا المنزل قدماه للمستر جودري وروى فرنك لوالده خبره فرحب به . و بعد بضعة شهور كان موعد افتتاح المعرض الصناعي السنوي فعرض فيه فرنك بعض مصنوعاته الحديثة ومن بينها آلة صغيرة توضع في مؤخر المراكب الشراعية وتدار بالبنزين فتجعلها تسير ضد الرياح فأحرزت الجائزة الاولى .

وكان بين المشاهدين اللورد جون براوجنجهام الذي أصبح لوردا بعد وفاة شقيقه وقفل مصنعه ولكنه أعجب باختراع فرنك العظيم الفائدة وأثنى على المستر جودري وابنه فرنك وهنأهما بنجاحهما . و بعد أسبوع اقامت الحكومة حفلة راقصة بمناسبة يوم عيد الهدنة دعت اليها اصحاب المقامات العالية ومديري المصارف المالية والمصانع وغيرهم وكان بين المدعوين اللورد جون وخليلته والمستر جودري وولده فرنك و بياتريس ولما التأم عقد المدعوين أحاطت المعاصم بالخصور وصدحت الموسيقى

وابتدأ الرقص على انغامها المطربة وكان اللورد جون يرقص مع خليلته وفرنك مع بياتريس فلمح اللورد شعار أسرته مرسوما على ذراع بياتريس العارية فجمد الدم في عروقه وشحب لون وجهه وتفرس بالفتاة جيدا فألفاها تشبه زوجة شقيقه وقد لحظت خليلته منه ذلك فدبت في صدرها نار الغيرة وظنته افتتن ببياتريس فكظمت غيظها وعند انتهاء الحفلة عادا الى القصر وما استقر بهما المقام حتى ابتدرها قائلا : ان لم نتدبر الأمر ياعزيزتي عدنا الى سابق حالتنا قبل وفاة شقيقي اللورد فاستوضحته الأمر فقال لها : ان تلك الفتاة هي بياتريس ابنة شقيقه فقد رأى شعار العائلة على ذراعها وفوق هذا فانه سمع الشاب الذي كان معها يدعوها باسمها وقال : ان لم نتدارك الأمر خسرنا كل شيء سيما وان الفتاة بلغت سن الرشد الذي يخول لها حق الحصول على ارثها . وربما يرشدها مرشد الى مسجل العقود الذي أودع أخي عنده وصيته فيجب تدارك الخطر قبل استفحاله

— انك تخيفني يا عزيزي ! ولكن كيف نجت من الموت ومن انتشلها من طريق القطار ؟

— ارجح انه والد فرنك صاحب الاختراع الجديد الذي نال لقب بارون من جلالة الملك مكافأة له على اختراعه وأصبح من الاشراف وان رجلا مثل هذا يخشى جانبه لما أوتيه من الذكاء وربما وقف على سر الفتاة واننا لا نأمن جانبه الا اذا غدت الفتاة في عالم الأموات

— اذن ستتدبر الأمر غداً . . .

— هذا ما فكرت فيه . أجل انه يجب أن نبحث على رجل يورد الفتاة حتفها كي ننجو منها وأما الآن فيجب أن نستريح وان الغد لناظره قريب

وفي ذات يوم صفت سماؤه واعتدل هواؤه وغردت اطياره نزلت بياتريس لحديقة القصر حيث جلست في خميلة تطالع كتاباً يحتوي على منتخبات الكاتب الانكليزي الشهير اللورد بايرون (Lord Bayron) . وما استقرت في مجلسها حتى

جاءها الخادم بخطاب وقال لها : ان شيخاً أحضره وهو في الباب ينتظر الجواب . فقرأت بياتريس في الخطاب ما يأتي :

سيدتي ومولاتي بياتريس !

انني في أشد حالات الضيق والحاجة الى معونتك فمدي لي يد المعونة وارمقيني بعين حنانك وأنت أولى من يوجه اليهن سؤالي فتنازلي ورافقي حامل خطابي هذا وشرفي بيتي الحقير و بذلك تكونين صنعت اعظم احسان لتعزية امرأة بائسة تحتاج لعطفك أدبياً ومساعدتك مادياً فتنتشلينها من عذاب طال أمره واقراراً بفضلك سأخبرك بما يهمك من الأسرار التي تحيط بك من يوم نشأت حتى هذه الساعة وهذا ليس بالشيء المذكور أمام عطفك وحنانك ادلايين

وما أتمته حتى هرولت لترى الشيخ فجيته وسألته من تكون أدلايين ؟ فتظاهر بالبكاء وجعل يستعطفها و يذكرها بصديقتها ورفيقتها في المدرسة الذي هو والدها (وكان كل ذلك محض نفاق)

— اني لا أذكر صديقة لي بهذا الاسم ولكن ربما خانتني ذاكرتي غير ان هذا لا يمنعني عن مساعدة امرأة بائسة وأني ذاهبة اليها لا محالة فانتظرني قليلا . وهل المنزل بعيد من هنا؟

— لا تزيد المسافة عن عشرين دقيقة . فدخلت المنزل ولبست قبعتها وعادت تحمل كيس نقودها وسارت معه واذا بسيارة مارة (وكانت هذه السيارة معدة خصيصاً بتدبير متفق عليه مع الشيخ الخبيث) فاستوقفتها وركبتها مع الشيخ الذي أرشد السائق الى الطريق و بعد سير نصف ساعة كانت السيارة خارج لندن ووقفت امام منزل منفرد فنزلت الفتاة ودفعت للسائق الأجر وفتح الشيخ الباب بمفتاح كان معه ودخلا ، فاذا به منزل بسيط الاثاث . فانحنى الشيخ امامها قائلا : تفضلي واجلسي لأخبر ابنتي بقدومك وخرج من باب آخر وقفله فجلست بياتريس تفكر بأنها ستصنع احساناً لهؤلاء البائسين ثم تعود الى منزلها فرحة

نزل فرنك الى الحديقة كعادته للاجتماع بحبيبته فلم يجد لها أثراً فناداها فلم تجب ولما وصل الى المكان الذي تعوّد الجلوس فيه وجد الكتاب الذي كانت تطالعه ثم وجد الى جانبه الخطاب الذي أحضره الشيخ وما أتم مطالعته حتى هرول الى المنزل مسرعاً وأطلع الشيخ جودفري على جلية الأمر . ثم سأل الخادم عن بياتريس فأخبره هذا بأنها خرجت بصحبة الشيخ الذي أحضر الخطاب .

فحملق جودفري عينيه وقال لفرنك : ان يد عمها تلعب في هذا الأمر وقر رأيهما على اخطار الحكومة بالمسألة وأسرعا الى ادارة البوليس واخبرا المدير بالمسألة وبعد فترة خرجا برفق اثنين من رجال البوليس السري وركبوا جميعاً سيارة قادتهم الى قصر اللورد جون فوجدوا سيارته تنتظره عند الباب فترصدوه حتى ركب سيارته فتبعوه عن بعد ومازالوا مقتفين أثره حتى وقفت سيارته أمام المنزل المذكور ورأوه دخله فهجموا على المنزل وقبضوا على السائق وكبلوه بالحديد وبقي أحد الشرطيين يحرسه ومسدسه بيده فسأله فرنك : أليس اللورد جون هو الذي دخل المنزل فامتنع عن الاجابة فوخزه الشرطي بطرف المسدس في صدغه فأجاب نعم وما سمع فرنك ذلك حتى طار صوابه فطرق الباب بشدة مراراً ولما لم يجبه أحد دفعه برجله بقوة فانفتح على مصراعيه وانقض كالصاعقة مع الشرطي الثاني وجودفري وهم شاهرون مسدساتهم صارخين ارفع يديك أيها اللعين . وكان اللورد لم يشرع بعد في انفاذ عزيمته من قتل ابنة أخيه حيث جرى كل ما تقدم بسرعة ولو تأخروا خمس دقائق لقضي الأمر . ولما لمح اللورد فرنك أطلق عليه رصاص مسدسه فأصابه في العنق والكتف واصابه اصابة أخرى في ذراعه اليمنى . فأطلق الشرطي على اللورد ثلاث رصاصات القاه على الأرض . فصرخت بياتريس عند ما رأت الدم يسيل من عنق فرنك فطوقته بذراعيها وأخذت تقبله ثم ضمدت جرحه بمنديلها غير ان اصابته كانت ليست خطرة واذ ذاك صرخ جودفري بوجه جون قائلاً : تباً لك ايها الشرير ! وكيف سولت لك نفسك الخبيثة قتل ابنة أخيك وأنت وصيها ! ! ! جون . . .

جون . . . اني مطلع على اسرارك ولا بد من تأديبك أيها الغادر وقذفك في غياهب السجون . ثم حمله والشرطي الى سيارته وعادوا لمعاونة فرنك على الخروج وكان مستنداً الى ذراع بياتريس

وساق الشرطيان السيارتين واوصلا جون الى ادارة البوليس وفرنك الى المستشفى ولما علم والد فرنك بالأمر أسرع الى المستشفى حيث كان الطبيب قد أخرج الرصاص من جراح فرنك وأمره بالبقاء ٢٥ يوماً وأبت بياتريس تركه تحت رحمة الممرضات وبقيت ساهرة عليه حتى شفي وعاد الى قصره

وفي ٢٢ مارس سنة . . . كان ميعاد المحاكمة وقد حضرها مسجل العقود المستر رابتس المشهور بلندن الذي جاء بدعوة من جودفري وأظهر الوصية وقد أجلت المحكمة مقاصد جون اللعين للاستيلاء على ارث اخيه فحكمت عليه بالاعدام لشروعه مرتين بالقتل فصرخ معترفاً وكان لم يبرأ من جراحه فبكى ودعا بياتريس ولما دنت منه قبل يدها وطلب منها الصفح والغفران ثم سقط على الأرض وزفر زفرة شديدة وفاضت روحه

وأعادت المحكمة الارث لصاحبته وطردت تلك اللعينة خليلته جون من القصر ثم زفت بياتريس الى فرنك وبقي الشيخ جودفري الأمين ملازماً لهما وعاش الجميع في قصر آل براوجنجهام بسلام .

عن الانكليزية — نجيب شلفون

من يكن له حظ في حياته يصيب المرأة الصالحة

« يوامي »

احذر صديقك الوفي فالكلب الامين قد يكون خادعا

« دي روشفوكول »

المرأة اكمل مخلوق حين تسير كأمرأة .

غلادستون